

هذا ما يستحق الوصف.. وما خفي أعظم!

عدي صادق
كاتب وسياسي
فلسطيني



يتوجب إجمال الثناء لدولة قطر، بشافة عدد من "المكررات" التي جاءت في وقتها، ولا تجود بمثلها سوى السلطات الراسخة في علوم ما بعد التطبيع المعلوم. فعلى مدى سنوات طويلة، ظلت أبواب النظام القطري تحاول التعمية على حقيقة وعمق علاقات الدوحة بتل أبيب، واللعب بالبيضة والحجر، لخلق انطباعات مخففة عن هذه العلاقة، التي جعلتها لغزاً مستغلقاً، لا تفتح الفرضيات الظنية أقاله.

وتعجز - بالنتيجة - مراكز الأبحاث عن فك شفرة الدلال الكبير الذي تحظى به قطر لدى إسرائيل، حتى أصبح بمقدور موفد قطري واحد، إلى تل أبيب، أن ينجز في غضون دقائق ما يعجز عن طرحه أصلاً موفدو دول إقليمية ودولية وازنة.

لقد بلغت قطر من البراعة في تجميع المتناقضات حدّاً يستحق الدراسة في العديد من الحقول البحثية. فمن جهة، دابت منابرها الإعلامية على فضح كل من اشترى قبل سنوات، برتقالة من اليهود، أو صافح إسرائيلياً في جنازة، ودابت "الجزيرة" وأخواتها على توزيع الاتهامات بالخيانة يميناً ويساراً، وتشغيل البرامج الحوارية للتأنيب والشيطنة، وكان نظام قطر هو حارس الفضيلة الإسلامية والوطنية والقومية، وعنصر الدفاع السديد عن القضية الفلسطينية.

المغفلون هم كل الذين صدقوا بأن قطر نصير المقاومة والمشروع الإسلامي حتى ولو كان هذا المشروع هو نفسه الذي دعا إليه ونستون تشرشل في العام 1922

في الوقت نفسه، تفوقت قطر على شقيقتها الأخريات في عدد الاتفاقات الأمنية مع أميركا (ومع إسرائيل ضمناً) وفي الحصلة، وتلك الاتفاقات ظلت الدوحة تباهي بها، ككؤوس مسابقات أحرزتها، ولم يحرز خصومها مجتمعين على نصف عددها.

في الوقت نفسه، استطاعت قطر، بعقريتها التطبعية، إقناع الأميركيين والصهاينة بأنها الأجدر في مكافحة الإسلاميين سواء كانوا من "الإخوان" أو من أتباع "الجهادية السلفية". لكنها ظلت هي نفسها التي توفر المنابر الإعلامية لهؤلاء لكي يتقايوا كل الكلام والرؤى الفاشحة.

وأغلب الظن أن هذه الأعطية كانت ولا تزال مقصودة ومطلوبة إسرائيلياً وأميركياً، ضمن حزمة خدمات ملعوبة. فالغرب أساساً سيكون معنياً بإتاحة الفرصة للمتطرفين والتكفيريين، لكي يحرقوا أنفسهم بانفاسهم، وأن تتهاجى فصائلهم مع شبيهاتها، وأن تعرض من خلال السجلات تفاصيل دواخلها وأشخاصها. فهذه أصلاً مهمة مراسلي وسائل الإعلام الأميركية والبريطانية، الذين يخاطرون بأرواحهم لكي يتعرفوا على عدو مفترض للغرب يمكن استغلاله لكي يعمل ضد البلدان العربية والجمع العربي الإسلامي، لإضعافها، ويدق الأساقين ويصنع الفتنة. فعلى هذا الصعيد، خذ واشبع من سميات وعناوين برامج الجزيرة:

"سري للغاية"، "ما خفي أعظم"، "للصقة بقبعة"، "الصندوق الأسود"، "شاهد على العصر" وغير ذلك من العناوين المخبرانية التي تذكرنا بالإعراي الذي سال واحداً من قبيلة أخرى "ما اسمك؟" أجابه "حديد"، وعاد فساله "حديد ابن من؟" أجاب "ابن منيع بن شديد"، فصاح الإعراي: ويحك، لا أحسب الأفعال إلا صنعت من أسمائكم! في مرحلة انتفاضة الأقصى، وكلما ارتفع منسوب الدم الفلسطيني المسفوك، وبلغت مظلومية الشعب الفلسطيني مدى لا تستطع الولايات المتحدة نفسها السكوت عنه، وكلما خرجت في تل أبيب مظاهرات يهودية تندد باستخدام أحدث الطائرات الحربية ضد السقائف وعربات الكارو والمدارس والمساجد الفلسطينية؛ سارعت "الجزيرة" تسحب من أرشيفها تحقيقاً مصوراً لتخفيض مستوى التنديد بمجرمي الحرب. طالما أن حماس تشكل هذا الخطر المريع على وجود دولة إسرائيل.

تحقيق مصور مثل هذا، تسمح به حماس فلما منها أنه دعابة حربية يمكن أن تخيف إسرائيل، بينما الجزيرة في الحقيقة، تريد من وراء بثه إقناع العالم أن إسرائيل غير ملومة على صب نارها الحارقة على غزة، طالما أن تحت أرض القطر هناك أرض أخرى لحماس عبارة عن مدينة صناعية شاسعة، تزدهم بمصانع السلاح التي تنتج كل أنواع الصواريخ والقذائف.

وفي أحد هذه التحقيقات عرضت وقائع اختبار القذائف ضد الدروع، وكان غزة أصبحت تضاهي كوريا الشمالية، ما يجعل إسرائيل مضطرة إلى ذلك بيوتها ومدارسها.

أما الجديد القطري الذي يستحق الثناء، فهو المروءة التطبعية، إذ على الرغم من الخلافات لم تتردد الدوحة في مساندة حديثي التطبيع، بالتحشف عن شيء يتجاوز تطبيعهم ويتوغل في كيمياء إسرائيل وعمق فلسفتها الأمنية. الدول العربية التي أقامت علاقات مع إسرائيل مؤخراً تنوه إلى حقها في اتخاذ قرارات سيادية، لذا كان القطري الذي يساند أشقاءه بما هو زائد عن التطبيع وعن حدود صلاحية القرار السيادة، كمن يقول ها أنذا أتدخل في ما هو أبعد من التطبيع، وأقف مع التسوية على أساس صفقة ترامب - نتنهاو التي يسمونها "صفقة القرن" ورفضتها الدول العربية المطبعة قبل الراضة للتطبيع.

وباعتبار أن لكل رزية طرائفها، فإن طرف ما ينشأ عن هذه المساندة القطرية، أن الآخرين سيصمتون، ولن يتحدثوا عن حقوق سيادية قطرية، ولن يعترفوا للدوحة بأن منحها الجديد والمفاجئ، الذي جرى الإصحاح عنه، ملفوف بورق السوليفان، وفي داخله عزم أكيد على مساعدة الطرف الفلسطيني ووقف الضم. فكانما هي أربكتهم ببلاغة تطبيعتها الذي تجاوز أسوأ الظنون.

إن اعتبرنا ذلك كله مشهداً واحداً، فإن المغفلين هم كل الذين صدقوا بأن قطر نصير المقاومة والمشروع الإسلامي، حتى ولو كان هذا المشروع هو نفسه الذي دعا إليه ونستون تشرشل في العام 1922 وعلى أساسه تحدثت موفدوه مع الشيخ محمد رشيد الرضا، ملهم الشيخ حسن البنا، ثم تحدث الأميركيون بشأنه مع صهر البنا، الشيخ سعيد رمضان، الذي تحدثت عنه وكالة الاستخبارات الأميركية علناً، باعتباره عميلاً لها، وأنها هي التي فرضت على ألمانيا تسليمه مسجد ميونخ ومراكز إسلامية أخرى في سويسرا وألمانيا، وقد استقبله الرئيس الأميركي أيزنهاور في البيت الأبيض في العام 1953.



بين فرنسا وإيران... ومصصلحة لبنان

خير الله خيرالله
إعلامي لبناني



من الصعب قبول "حزب الله" بالمبادرة الفرنسية التي حملها الرئيس إيمانويل ماكرون إلى لبنان، بل يستحيل ذلك في غياب ظروف معينة ليست متوافرة حالياً لا في لبنان ولا في المنطقة. يعود ذلك إلى سبب في غاية البساطة، المبادرة الفرنسية محاولة أخيرة لما يمكن إنقاذه من لبنان، فيما مصير لبنان واللبنانيين آخر هم من هموم "حزب الله" الذي لا تهمة سوى إيران ومصير النظام فيها، وقبل ذلك مشروعها التوسعي في المنطقة. إيران نفسها تستمال ما الذي في استطاعة فرنسا تقديمه في وقت لا تستطع فيه الاستغناء عن لبنان كورقة في لعبتها الهادفة إلى تحقيق صفقة مع "الشيطن الأكبر" الأميركي.

لماذا، إذا، إضاعة الوقت في غياب تغيير في الموازين على الصعيد الإقليمي وليس في الداخل اللبناني فقط، يصح في حال لبنان والمسألة التي يعيش في ظلها السؤال ماذا لدى فرنسا من وسائل ضغط على إيران، أو ترغيب لها، حتى تقلب بتغيير جذري في مفاهيم حاول "حزب الله" تكرسها؟

نجح الحزب في ذلك وصولاً إلى فرض رئيس جمهورية معين على اللبنانيين. تالا ذلك قانون انتخابي أدى إلى أكثرية نيابية في جيب "حزب الله"، أي إيران. وصل الأمر بالحزب إلى تحديد من رئيس مجلس الوزراء السنّي في لبنان ومن يشارك في الحكومة ومن لا يشارك فيها. من هذا المنطلق، لا يمكن للحزب إلا أن ينظر بعين الريبة والرفض المسبق إلى حكومة اختصاصيين غير حزبيين ينتمون إلى لبنان آخر يشكّلها مصطفى أديب بمواصفات فرنسية.

تعيد مثل هذه الحكومة لبنان إلى الحظيرة العربية والدولية وتكون نقطة انطلاق لإصلاحات في العمق لا مفر من الإقدام عليها... ماذا يعني تغيير على الصعيد الحكومي مصطفى أديب احتمالاً ممكناً؟ يعني قبل كل شيء ظهور حاجة إيرانية إلى فرنسا تكون بديلاً من الأخذ والردّ معها من أجل كسب الوقت ليس إلا. عندئذ، ستجد طهران نفسها مجبرة على الإفراج عن الحكومة اللبنانية، مع ما يعنيه ذلك من تمكين مصطفى أديب من تشكيل حكومة تضم اختصاصيين من خارج الأحزاب اللبنانية، خصوصاً من خارج "حزب الله" وحركة "أمل" الشيعية التي يرأسها رئيس مجلس النواب نبيه بري و"التيار الوطني الحر" الذي

يقوده جبران باسيل، صهر رئيس الجمهورية ميشال عون، حليف "حزب الله". نعم، لا حاجة إلى إضاعة مزيد من الوقت. كل شيء واضح في لبنان. من يعتقد أن إصرار الثنائي الشيعي على تسمية الوزراء الشيعية في الحكومة وعلى حقيبة المال حصل صدفة أو بسبب العقوبات الأميركية على وزيرين سابقين يجاهل لب الأزمة اللبنانية. لب الأزمة اللبنانية وقوع لبنان في أسر إيران التي تتطلع إلى صفقة مع "الشيطن الأكبر" وليس مع فرنسا الحريصة على لبنان لأسباب عدة. بعض هذه الأسباب عاطفي وبعضه الآخر مرتبط من دون شك بالمصالح الفرنسية في وقت هناك تجاذبات، بل أكثر من ذلك، في البحر المتوسط. يعطي فكرة عن هذه التجاذبات ما تسعى تركيا إلى فرضه كامر واقع في المتوسط في مرحلة تعتقد فيها أنه سيكون في استطاعتها استعادة أمجاد الدولة العثمانية والعودة إلى ما قبل كل المعاهدات التي وقعتها، خصوصاً معاهدة لوزان للعام 1923.

ثمة حاجة إلى معجزة كي يتمكن مصطفى أديب من تشكيل حكومة، اللهم إلا إذا قرر الرجل أن يكون حسان دياب آخر فيرضخ لشروط الثنائي الشيعي التي لا منطلق لها باستثناء منطلق تأكيد أن لبنان تحت الهيمنة الإيرانية. لن تقبل إيران بسهولة التراجع عمّا حققته استثمارها اللبنانية.

تتبن مع مرور الوقت، أن لبنان ورقة في أهمية العراق بالنسبة إلى "الجمهورية الإسلامية" التي اضطرت أخيراً إلى التراجع خطوات هناك بسبب تحرك المواطنين الشيعية العرب أولاً. هؤلاء أدركوا، في معظمهم، ما هي سياسة إيران وكيف تنظر إليهم وكيف ترى في العراق مجرد مستعمرة إيرانية. لكن ذلك لا يمنع إيران من المحاولة يومياً لاستعادة مواقعها العراقية. أوجد العراقيون، خصوصاً مع تولى مصطفى الكاظمي موقع رئيس الوزراء، حركة لا يمكن

سوى أن تؤدي يوماً إلى استعادة البلد موقعه بعد التخلّص من المحاصصة المذهبية. هذا التغيير نحو الأفضل بداته حكومة مصطفى الكاظمي عبر التعيينات الإدارية الأخيرة التي شملت تولى سنة مواقع

أمنية استبعدوا منها سابقاً، أي منذ القرار الأميركي بحل الجيش العراقي والأجهزة الأمنية.

ما لم تستطع فرنسا استيعابه أن لبنان لم يعد يمتلك مناعة تسمح له بمواجهة المشروع الإيراني وذلك على الرغم من وجود نقمة شعبية شيعية واسعة على الثنائي الشيعي. يعود غياب المناعة اللبنانية إلى استسلام ما يسمى "التيار العوني" لـ "حزب الله" منذ توقيع وثيقة مار مخايل في السادس من شباط - فبراير 2006.

منذ توقيع الوثيقة، التي ولد منها نظام جديد يقوم على المعادلة الذهبية الحقيقية هي معادلة "السلاح يغطي الفساد والفساد يغطي السلاح"، بدأت رحلة الانحدار اللبناني وصولاً إلى ما وصل إليه البلد حالياً.

جاءت المبادرة الفرنسية لكسر هذه المعادلة من منطلق أن هناك طبقة سياسية لبنانية لا تعرف شيئاً لا في الاقتصاد ولا في السياسة. لا تدرك معنى انهيار النظام المصرفي اللبناني وتفجير ميناء بيروت وأبعاد ذلك على مستقبل البلد برمته. ربما لا تدرك فرنسا أن لا وجود لمثل هذه الطبقة السياسية التي لا تعرف شيئاً عن معنى إفقار اللبنانيين وعن العزلة العربية للبنان وأهمية وسط بيروت أو النظام التعليمي أو معنى أن يكون لبنان مستشفى المنطقة.

باختصار، لا وجود لطبقة سياسية في السلطة تدرك معنى مؤتمر "سيدر" الذي انعقد في باريس في نيسان - أبريل بفضل سعد الحريري ولا أحد آخر غير سعد الحريري. كان "سيدر"، الذي يعني تنفيذ الإصلاحات أولاً، الفرصة الأخيرة التي لم يوجد في أعلى مواقع السلطة في لبنان من يتلقفها.

سيكون على فرنسا البحث عن مخرج للبنان خارج لبنان. الأمل مفقود لبنانياً. بسلام أوضح، ليس استطاعة فرنسا سوى إقناع إيران بأن لديها مصلحة في التعاون معها في لبنان. إلى إشعار آخر، هذا ليس وارداً أقله في ظلّ الرهان الإيراني على تغيير في الولايات المتحدة... وهو رهان سيدفع لبنان ثمنه غالياً، بل غالياً جداً!

مخرج للبنان خارج لبنان. الأمل مفقود لبنانياً. بسلام أوضح، ليس استطاعة فرنسا سوى إقناع إيران بأن لديها مصلحة في التعاون معها في لبنان. إلى إشعار آخر، هذا ليس وارداً أقله في ظلّ الرهان الإيراني على تغيير في الولايات المتحدة... وهو رهان سيدفع لبنان ثمنه غالياً، بل غالياً جداً!

